دقيقة واحدة.. فقط

محمد فتحي المقداد

التصنيف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وبه أستعين:

جاءت فكرة العنوان من جوهر فلسفة؛ قامت عليها تقنيَّة السَّرد القصصيِّ للنُّصوص القائمة زمنيًّا على مساحة دقيقة واحدة فقط.

أعتقدُ أنَّ فكرة تكوين مجموعة كاملة قائمة على توقيت دقيقة واحدة فقط لكلِّ نصٍّ فريدة، لعلَّ ذلك يكون من باب التجديد الحداثيِّ لهذا المجال الأدبيِّ الهامِّ، تابعتُ ماضيًا في مُغامرتي هذه، راجيًا من الله التوفيق والسداد في مسعاي، وأن يكون الصّواب مُصاحبي؛ فيما ذهبتُ إليه تغريدًا ربّما خارج السّرب.

2023-2022

محمد فتحي المقداد

البصّارة

رشاقةُ حركة يديْها المدروسة في كلِّ مرَّة تُفرِغُ فيها خليط الحصى، وقِطَعُ العظم والوَدَعِ من كيسها القماشيِّ الأسودِ المعقودِ بقطعة خيط عتيق.

وجهُها الموشومُ بخطوط مُتشابكةٍ على ذقنها تحت شَفتيْها الرّقيقتيّن، مُوحٍ بطمأنينة تولَّدت للتوِّ، اِبْتسامتُها تفسحُ المجال لِلأَلَاء نَابِها الذَّهبيِّ إبهارَ عينيَّ؛ لتنقُلا اِكْتمال اللَّوحة بكامل بهائها للمُخِّ.

محاكمةٌ صوريّة مُسبقة الحُكم: "**كَذَبَ المُنجّمُون، ولو صدقوا**".

لم يمنعني من مُقاطعاتها، والإفلات من رجائِها المُتوسّل بسماعِها، ولو لمرّة واحدة..!!. قُبيل مُغادرتي لقهوتي، قرعَت باب البيت المفتوح على مصراعيْه في مثل هذا الوقت من كلّ يوم.

لذّة لَكْنَتِها الغجريّة بطعم قهوتنا العربيّة، عندما ألقت التحيّة.

هَمَمْتُ بالمغادرة، أجلستني بطلب التمهّل، بعد أن غرزت عينيْها في فنجاني تركيزًا باحثة عن مجهول. تُدوّره بين أصابعها، وتزمّ شفتيْها؛ لتكميل خارطة خطوط الفنجان الممتّدة إليها مَسحًا. قالت :

- "بالله عليكَ اِمْنَحْني دقيقةً واحدةً فقط".

اِهْتزازُ رأسي تَرَافق مع عَدَم ردِّي عليها. الدَّقائق تنفَدُ مُخلِّفة وراءَها حَسْرة ضياعِها .

رفعتْ عينيْها لتشتبكا بنظراتي الزَّائغة بِنيَّة اِفْتراسها. تحفُّزٌ داخليٌّ، كأنَّما اِهْتزَّت الأرضُ زَلْزلةً تحت قدميَّ. اِرْتعاشاتٌ لا إراديَّة أطاحتْ بآخر حُصون دفاعي. دَاهَمتني أُمنيةٌ: لو أنَّني تَسَوَّرتُ حُصونها للإطاحة بها، وأطبِقُ على شَفَتَيْها في غارة خاطفة.

-"فرسٌ أصيل يسير بسرعة البرق، خلفه غبار كثيف لمسافة طويلة، خيّاله يحثّ السّير بلا استراحة تحدوه الأشواق. أنتَ تقف في بداية طريق مُمْتدَّة من مكان بعيد، ولو قُيّضَ لكَ أن تركبَ الفَرَسَ القادم لِتُتابعَ به، فربَّما تصلُ مُبكِّرًا". قالت كلامها.

أتفقَّد السَّاعة، اِطْمأنَنْتُ إلى أنَّني ما زلتُ ضِمْن الدقيقة. همَمتُ بالنُّهوض، بينما نَثَرت كيسها على بلاط الأرض.

تابعت:

- "إذا تَطَابَقت قراءتي للفِنْجان، مع الأحجار؛ فأنتَ من أصحاب السَّعد هذا اليَوْم ".

لبرهة تُهتُ في غيابات الذِّكْريات المُلهِمَة، كأنَّ يدًا رقيقةً لامَسَتْ عُنُقي، تزامن مع آخِرِ كلماتِها السَّاحرة.

دَعوْتُ الله في سِرِّي أن يُخيِّب مَسعاها عندي، وأنا مُقيمٌ على حُكْم اليقين فيها وبفعلها الكاذب.

رقَّ قلبي لرجائها. اِعْتقدتُ أنَّني فاتحة سِعْدها في التَرَزُّق هذا اليَوْم، أقصى طُموحها أن تحصل على إكراميَّة العشر ليرات سوريّة .

يا إلهي كم تتحمّل هذه المرأة المُتشبِّثة بالحياة..!!؟

وهي تحتال على لُقمة العيش، ببيع الأوهام لي ولأمثالي .

وكيف تُراق كَرَامُتها في أحيانٍ كثيرةٍ على يد الأشقياء!!؟ .

اِبْتسامتُها عريضةٌ مُنبئةٌ عن تَطابقاتٍ في ذِهْنِها، لا عِلْم لي بما ستقولُ، اِرْتسمتْ بشائرُ فَرِحةٍ على وجهها، تألّقَتْ في عينيَّ مُجدّدًا. حاولتُ إزاحة وجْه الجيوكندا من مُخيِّلتي، وكدتُ أصرخُ على دافنشي، كيف خانته فِطنته عن هذا الوَجْه القمريِّ المُتلألئِ نورًا يتغلغل في قلوب مُحيطيه؟.

اِبْتسامتي طيلةَ يوْمي لم تَبْرَحْني، على غير العادة، تساؤلاتُ الزُّملاء والزَّميلات تنهال عليَّ .

***

لحظة عامرة

تُطلقُ العَنان لدُخّان النرجيلة (الشيشة) باحتلال مساحة من أفُقٍ تَسرحُ فيه نظراتي المُستغرقة في تأمّل شيءٍ بعيدٍ غير واضح الملامح.. تخمينات: "يا إلهي.. إنّه يُشبه فيلاً.. لا.. لا.. أقرب إلى ديناصور.. عندما رفع خرطومه تأكّدت منه".

بشراهة تنفثُ من فمها ما تشفطه بقوّة نفسها من الخرطوم الممتدّ إلى فمها.

خُيّل لي أنّها بحالة عصبيّة.. غير مُكترثةٍ للنَّسمات المُنطلقة من مياه البُحيْرة عن يمينها، ولا للصوت الشجيّ القادم من آلة تسجيل؛ أدمنت أمّ كلثوم في مثل هذا الوقت من كلّ يوم. على

الأقلّ منذ عشر سنوات، في أوّل مرّة قدمتُ إلى هذا المقهى الهادئ؛ تنفيذًا لموعد هامٍّ آنذاك حسبَ اعتقادي.

نسمة رطبة مُسرعة أزاحت سُحُب الدخان.

-"أوه..!! أين اختفى الفيل.. إنّهما فتاتان تتهامسان. اليُمنى منهما تميلُ برأسِها قليلاً إلى اليسار.. أظنّ أنّهما التصقتا، وراحت تحكي: لها عن حبيبها المشحون بطلعة بهيّة منذ أوّل لقاء، إذا اشتبكت عيونهما".

نهضتُ مُسرعًا دون استئذان من أحد، الكُرسيُّ المقابل لي ما زال شاغرًا. خمسُ دقائق طافت موعدي الذي أنتظره.

-"مواعيدٌ كاذبةٌ.. لم تزل تَكْويني بالتأخير.. لكن لماذا أنتظر..!!؟، سَذاجتي تقودني في كلّ مرّة لموعد فاشل".

ما زالت السيّدة تشفطُ الدّخان بعصبيّة.

- "أووووف".

قرعَتْ سمعي تنافُسًا مع قرقرة النارجيلة، وأنا أقتربُ منها مُغادرًا المكان، ملامحُ خيبتي انعكست على عدسة نظّارتها السوداء .

ابتعدتُ.

همْسُ الفتاتان يتناغم بصعوبة مع "أوف" السيّدة بتآلفٍ مُقلقٍ على ساحة تفكيري، وقرقرة النارجيلة طاغية، لم تترك لي مجالًا لاستعادة شكلي عن عدسة نظّارتها. تشويشُ مُربِكٌ أذهلني نسيانًا لهدفي.

***

انتظـــار

- "هل تذكرين..؟". من فوري انطلق لساني، بعد اشْتباكِ نظراتنا صُدفة في لقاء عابر لم يحصل منذ سنين.

- "أوه..!!". وضربت كفًّا بكفٍّ..، نظراتُها زاغت في لُجّة الشّفق المُتماهية مع حُمرة خدّيْها المُتوهّجين توغّلاً، غير آبهة بانسحاب آخر خيوط الضوء على عجلة من أمرها. لسانها يتلجلج بكلمات مُتداخلة لم أتبيّن ما قالت، وتابعت بوضوح: "نعم.. وهل يُنسى ذاك المساء البعيد؟".

- "ها أنا ألتقيكِ.. والهوى ثالثُنا على شُرفة الأشواق".

- "آه.." مبحوحة خرجت من بين شفتيْها النّاشفتين على استحياء وعناد: "آآآآآآه .." طويلة تتقلّب قهرًا مع أنفاسها الحرّى الصّادرة من أعماق أعماقها: "أُحِسّ انسكاب روحي في كأسِ عُمريَ المكسور، يُراقب حركات البيادق على رقعة الشطرنج، والأيدي تتحرّك برشاقة وذكاء. وما زلتُ بانتظار من سيقُل: "كِشْ ملِكْ".

- "عزيزتي.. مؤكّدٌ أنّ أحدهم سيُنهي اللّعبة في لحظة ما".

-" وأنا مُقيمةٌ علي قيد انتظار".

اللاّعبون لم يُخالطهم الملَل، أفكارهُم تتواثبُ تزاحمًا مع سُحُب الدّخان من لفافات السّيجار.

لم يَطُل اللّقاء لاستجرار المزيد، حتّى اختفى خيالُها بين حشود العابرين في الاتّجاهيْن للشارع المستقيم، الذي تصطفّ محلاّت البلدة كلّها على جانبيْه، أدركتُ سبب انطلاقها بلا كلمة وداع، وخطواتها تتسارع؛ لوصول المخبز قبل موعد إغلاقه، لا سيّما مع اقتراب ساعة حظر التّجوال، والعتمة تتمدّدُ للسيطرة على بقايا فُلول النّهار.

***

سلطان النّوم

رنينٌ مُتواصلٌ على مدار دقيقة كاملة، يُصارع ظلام الغُرفة بإصرار عنيد على أداء مُهمّته المُؤتَمَن عليها. لا يهدأ إلّا غفوة قليلة؛ لمناوشة فرصة جديدة؛ قاطعًا سلسلة سيرة شخير ونخير بموسيقاها الصّاخبة كاسرة صمت اللّيل الموحش بهدوئه المُريب، وظلامه المُخيف بتخيّلاته الدّائمة.

يدُ فطين تتحرّك على غير هُدًى بحثًا عن مصدر الصّوت، المُنبّه غير مُراوغ في تعبيره بإعلانه الصّريح حتّى وإن كان

مُزعجًا، استمرّت وتيرة الحُلُم المناوئة لعناد الرّنين إلى مَدَايات تقطر تفاؤلًا:

"المدينة عادت إلى سابق عهد شبابها الأوّل، قبل أن تشيخ في ربيعها القرمزيّ اللّون على مدار سنواتها العشر. في عيد شمّ النّسيم خرج العمّال للاحتفال بمنجزاتهم التي يفخرون بها مُباهاة.

هُتافاتهم للوطن ألهبت أصواتهم.. ميدان السّاعة في حمص شاهدٌ على تشكيل الصُّورة، والطَّائر اللَّيْليِّ في تلك لم ينم عندما جفاه النّوم، فَجَعه هَوْلُ ما رأى من اِقْتحام الجنود للاِعْتصام السِّلميِّ المُرابط، قبل مُغادرتهم.

ظنّ أحدهم أنّ طائر اللّقلق رأى ما فعلوا؛ فصوَّب إليه رَشْقَة رَصَاصٍ من بُندقيَّته الآليَّة قبل أن يفْلِتَ ويهرب من عُشَّه.

في الصّباح عادت السّاحة نظيفة تمامًا، غسلها عمّال البلديّة استعدادًا لاستقبال وفد دوليّ، نبضُ الحياة تجدّد بشكل شبه طبيعيّ، كأنّ اللّيلة الدّامية تباعدت زمانًا، ولم تكن قبل ساعات.

استقبال باهرٌ هُتافاتُ المؤيّدين الغاضبة على الإرهابيّين، وأعضاء الوفد كأنّهم لا يسمعون ولا يروْن شيئًا، أقلامهم تُسجّل ملاحظات لا أحد يعرف ماهيّتها، عدسات كاميراتهم تُوثّق ما ترى أمامها مُكذّبة روايات اليوتيوب المُفبركة، برج السّاعة طالته يدُ النّظافة.

لا أحد يلاحظ أحزانه المكتومة، وما زال مُنتصبًا بشموخ، مُعاندًا رنين المُنبّه". انقلبتُ إلى الجانب الأيسر مع مُهلة غفوة التنبيه بعد دقيقة من الأولى.

***

ما الحبُّ إلَّا..

للحظة اصدامِهما المُفاجئ عند مدخل السّوبرماركت توقّف التاريخ.. أمام صمتِ الشّفاه.. حديثُ العيون كان وحده المسيطر.

حاجز الهواء البارد المُندفع بقوّة جهاز التكيّيف في أعلى الباب؛ وتّر حرارة لقاءٍ غير مُرتقَب .

سيْلُ ذكريات مخبوءة بين طيَّات النِّسيان منذ عشرين عامًا.

اِنْهمرَ جنونًا مُتدفّقًا بينهما.

ابنها خلفها يدفع عربة مليئة سلّتها بالموادّ الغذائيّة، مُتوقّف بانتظار أمّه إفساح المجال أمامه للخروج نحو سيِّارتهم المركونة. لم يُدرك سبب توقّفها، بصوت اخترق ذهولها:

" -ماما.. ما الذي جرى لكِ؟."

- "آه.. يبدو أنّي تذكّرتُ شيئًا".

وانطلقت مسيرتهما خارجًا. بينما الرَّجل مُتَسَمِّر بمكانه.. شيّعَهُما بنظراته الحسيرة مثلما ذاك اليوم؛ عندما أخبرَتهُ أنّ هُناك من جاء لِخِطبَتها، ولا حيلة له وقتها مع ظروفه الماديّة السيّئة العنيدة.

- "آهٍ.. يا جُرح قلبي المُندمل.. يا لعنةً أطفأت حُبّي الأوّل.. ما أروعه ذاك الشاعر: (**نقّل فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى// ما**

الحبُّ إلّا للحبيب الأوّل).. وأنتِ يا ربّة الحُسنِ.. كنتِ وكنتِ".

ضاقت عليه أنفاسُه مُتحشرجَةً.. سقط مغشيًّا عليه.. فتح عينيْه على رُعب الخراطيم القادمة من الأجهزة المُلصقة على جسمه، وعلى أنفه.

شاشات الأجهزة تتفاعل بخطوطها صُعودًا وهُبوطًا منتظمًا. حمدًا لله على سلامتكَ: قال الطبيب قبل انصرافه .

لم يجد أحدًا كان من الممكن أن يسأله عن مصير الحبّ الأوّل:

-"يا إلهي اِرْأَفْ بقلبِها الحنون.. ربَّاه: لا تُصبهُ بأذى.. ماذا لو أنّ صدمَتَها لِرُؤيَتي قد أوصلتها إلى مأواها الأخير..؟".

***

تبادلات

ما بالُ الرَّصيف راسِلٌ صمته المُريب، لم يَبُح بما حصل في آخر اللّيل، أو في الصّباح الباكر، وعند المساء. يتساءل سرًّا ذلك الرّجل الذي يحتلّ زاويته المعهودة منذ أشهر عديدة بجانب عمود الكهرباء.

قالوا: إنّ سُكّان الشُّقق في العمارة في الجهة الأخرى المُقابلة له، مُتوجّسون بِطُروئه على المكان، شكوكٌ أحاطته بهالة تأويلاتهم الصَّابَّة في اِتِّجاه وحيد .

شكلُه مُنبِئٌ عن خفايا لا تزيدُها ملابسه الرثَّة إلّا تأكيدَ وظيفته القائمة بجانب عمود الكهرباء، لم تنفعه ابتساماته المُصطنعة لفتح خطوط التواصُل مع مُحيطه. عيناه تُوَصْوِصان على العابرين للطريق، ولم تنسيا جِوارَه المقصود.

الصحفيُّ الشَّهير صاحب الزَّاوية اليوميَّة في الصفحة الأخيرة من الجريدة الحُكوميَّة، وعلى غير عادته بالخُروج والدُّخول إلى شُقَّته، وقفَ أثناء عودته أمام باب العمارة؛ كأنّهُ تذكّر شيئًا من وصايا زوجته لشراء بعض الأغراض الضروريّة .

الرّجلُ مُتَّكئٌ على العمود بوضعيّةٍ مُوحيةٍ بتعبه، لكنّه لم يبرَح مكانه منذ الصّباح.

لاحظ الصحفيّ ذلك، يبدو أنّه تذكّر أمرًا ما، بينما امتدّت يدُهُ اليُسرى لرفع قُبّعتِه رمزه الذي لا يُفارقه على الدوام، ابتهج الرّجل من الجانب المُقابل على الرّصيف. أرسل ابتساماته من جديد، ورفع يده بردّ التحيّة .

حرارة الجوّ عرَّقتْ صلعةَ الصحفيّ، أخرج منديلاً لتجفيفها، ولم ينسَ حكّها برؤوس أصابعه، ثمّ أعاد القُبّعة إلى مكانها، وتابع دخوله إلى بيته.

وما زالت ابتسامات الرّجل مُندلقةً على عرض الطريق، قوبِلَت بنظراتٍ الصحفيّ الشَّزِرة بشهادة عمود الكهرباء.

***

حذر هادئ

صدفةٌ عابرة جمعتني منذ بِشخصٍ مُتأفِّفٍ مع صديق لي، بادَرَ من فوره بعد السَّلام، لمَّا عرفَ قبل قليل؛ بإعادة فرض الحظر الشّامل ليوم الجُمُعة، نظرًا لانتشار وباء الكورونا على نِطاقات واسعة، وصلت حدَّ المُعدَّلات المُنذرة بالخطر القادم: "غير معقول ما يحصل".

بابتسامة منّي أغاضته، وأنا أُنصِتُ إليه، حتّى انتهى من كلامه. بادرتُه: "بأنّ ما سَمِعتُه منه هذه اللَّحظة، هو أفضل خبر لهذا اليوم".

رغم أنّني مُقاطع لنشرات الأخبار منذ سنوات، حتَّى نشرات الأخبار الجويَّة أسأل عنها، رغم أنّها مُتاحة بين يديَّ على الموبايل أيضًا.

"أشتاق لمُمارسة الكسل يا صديقي.. باعتقادي أنَّ الكَسَل غاية لا تُدرَك مهما طال مُقامي فيه. كما أنَّني أجدها فُرصةً هادئة؛ ينعدم فيها الضجيج الذي أُعانيه ليل نهار؛ لأخلوَ بنفسي، وأجلسَ معها للاستمتاع بالتَفكير الهادئ، والقراءة فيما هو مُؤجّل عندي، لتراكُم الكثير من المواضيع المُصطفّة بانتظار مجيء دورها، ولمزاحمة المُستعجل منها".

غادرني صديقي مُبتَعِدًا؛ قساوة انقضاء اللّحظة عاجلاً، لم تسمح لي بالتبسُّط بأسئلتي له والحديث معه؛ وما زال صَدَى

بَرْبَرَة الشّخص الآخر بكلمات مُغَمْغَةٍ، لم أفهم مِنها شيئًا على الإطلاق.

شجّعني ذلك على الانخراط بمُحاكاة مع نفسي، لم أجد المُبرّر المُقنع لها وسط أصوات هدير مُحرّكات السيّارات العابرة، وزمامیرها المُنْبِئة عن ضيق سائقيها من الازدحام المُروريّ الخانق.

***

ضجيج

فكرةٌ عنيدة لا تُبارحه؛ حتّى تُعاوده من جديد؛ لِتسحوذَ على نوافذ عقله، وجوامع قلبه، في كلّ مرّة عند لحظة الكتابة يتوقّف لأسبابٍ قاهرةٍ خارجةٍ عن إرادته، يستسلمُ لِخَوَر عزيمته، تنهارُ مُقاومة رغبته؛ فيُعرِض صَارفًا النّظر عن الكتابة، اختلاطاتٌ غاضبةٌ مُشوبةٌ بالعجز الطّارئ عن المُتابعة، لم تمنعه من تكرار تجربته التي لم يستطع سكبها للآن في ورقة.

أهمل الموضوع رغم أهميّته: "لماذا لا أصرف النّظر عنه تمامًا، وأنتقلُ إلى شيء آخر"، انتفضَ جافلاً من غفلته، ارتعشَ

جسمه باهتزاز ملحوظ، اِنْدلقَ قليلاً من فنجان قهوته على طرف الورقة، كأنّ الصّوت سمعه من آخر وليس من نفسه، بحركة لا إراديّة قام عن كُرسيّه مُستعجلاً، فتح الباب ثم أغلقه، أزاح السّتارة عن زجاج النّافذة، رأى خياله كشبح أسود، اِصْكّتْ ساقاه كاد أن يسقط مكانه في أرض الغرفة، استند للحائط، وهو يتحسّس أثرَ بَللٍ مُنسرِب بينهما. "الحمد لله إنّه تعرّق". أخذ نفَسًا عميقًا، وراح في إغفاءة بعدما تمدّد على سرير.

ما إن وصل إلى دَوَامِه صباحًا في دائرته الحكوميّة، وقبل القيام بأيّ عمل، تفقّد قلمه، والورقة أمامه على طاولة المكتب جاهزة تنتظر، أوّل نقطة طُبعت عليها أخذت موقعها في أوّل سطر.

عينا صاحب السّعادة في الصورة الكبيرة المُتربّعة تُراقبانه، حانَتْ منه التفاتةٌ إليها، تذكّر شيئًا مخبوءًا بنفسه منذ زمان، بتشنّجٍ واضحٍ يضغط بأصابعه على القلم؛ لإجباره على المُتابعة، فيضان بياض الورقة رفض النّقطة بمحو أثرها.

لسانُه تحرّك مُردّدًا:

- "الحمد لله ."

يداه تمسحان وجهه لإزاله نوبة الكَسَل عنه، ذهب ثانية إلى النّافذة. طمأنينة عارمة غَزَت قلبه. حركاتُ قطّة المنزل المُثيرة بمُداعبة أوراق الأشجار المُتساقطة بفرح غامر، صاح عليها لتأتي .تذكّر حاله: "أوه..!! مازال صوتي باستطاعته أن يعلو".

***

الحكواتي

الحكواتي على غير عادته توقّف فجأة عن الاسترسال في حديثه. لمح ذاك الرّجل القابع في الزاوية شبه المُعتِمة، كوجه ذاك التمثال المُنتصب في ميدان العاصمة الرّئيس، بإطلالته العُلويّة من فوق القاعدة الرُّخاميّة العالية بمشهديّة بانوراميّة.

خطوط وجهه العميقة حفرها النحّات بعمق جراحات، وعذابات الحكواتي مع أبطاله.

عينا الرّجل ما زالتا مُصوّبتَيْن إلى فم الحكواتي. الحكواتي مُجهَدٌ من أثر معارك جسّاس والزّير، حاول إزاحة تراكُم نظرات زبائن المقهى جميعًا عن شَفَتيْه، تثاءب على غير عادته، وضع

كفّه اليُمنى على فمه، بحركة من أصابعه، دفَع بالعوائق –ممّا يظنّ من نظراتهم– المُتراكمة إلى جوفه.

فَطِن بأنّ الجميع صامتون بانتظار إكماله للمشهد. أعينهم تتركّز نظراتها في وجهه، من جديد مَسَح وجنتيْه، وحَوْل أنفه، ومحيط فمه، وآثار تعرّق جبينه.

اعتدل في جلسته. أصلح طُربوشه الأحمر ذي الشُّربوشة السوداء المتناغمة بحركاتها المنفعلة؛ بفعل اهتزاز رأسه مع نهاية كلِّ عبارة حارّة إذا حمي الوطيس.

تنحنح بصوت مسموع في أرجاء صالة المقهى، وضرب بعصاه الرّفيعة على طاولته، نظّارته ثابتة على رأس أنفه، لكنّ عيناه تنظران من خارج الإطار إلى صفحات الكتاب العتيق،

ذي الورق الأصفر، استأنف سرده في القسم المُخصَّص لهذه الأمسية من السِّيرة الهُلاليّة، وابتدأ قوله:

- "يا سادة.. يا كرام...إلخ".

تذكّر حدّة نظرات التمثال الجامدة، والمُحدِّقة في وجوه العابرين جميعًا بلا استثناء، استعاد تفاصيل مُروره في نفس المكان قبل مُدّة؛ تلعثُم لسانه نبّه جمهور المُستمعين لشيء ما، أو خَلَلٍ خفيٍّ، على إثره اجتمعت كلّها في لحظة واحدة.

شعر بثقل نظراتهم في وجهه، كان على وَشَك أن يصرخ فيهم:

- "كفى.. كفى.. أرجوكم".

أدْرَكَتْهُ صحوة نفسه في اللَّحظة الأخيرة؛ توقّف، كأنَّه حرَّك لسانه في فمه بكلام، لم يسمعه إلا هو:

- "ما الذي جرى لي، كأنّني جُننتُ..!!".

كلام زوجته حينما حدّثته في اللَّيلة الماضية؛ شتّت تركيزه الآن، وبدّد طاقته، وهي تحكي نقلاً عن قريبتها التي تسكنُ في الضاحية الراقية على أطراف العاصمة، في زيارة لها بمناسبة نجاح ابنتها.

كلماتُها ما فتئت تقرع سمعه.. عندها قرَعَ بعصاه الطاولة:

- "شاب اختفى منذ أسبوع. قيل: "أنَّه أشار بأصبعه الوسطى إلى وجه التمثال الجامد في ليلة باردة بامتياز.

هبوب الريح منعت الناس من الخروج إلّا للضرورة القُصوى، حتّى رجال الرّصد والمُراقبة على أطراف السَّاحة الواسعة، أغلقوا عليهم باب مكتبهم، مُتحلِّقين حول مدفأة المازوت، ومصّاصات المتّة في أفواههم؛ يرتشفون شرابها الدّافىء.

حديثها الطويل عن زيارتها استغرق السّهرة كاملة، استمع لها باهتمام، وجّه سؤاله الوحيد لها:

- "ومن الذي أخبرهم إذًا عن الشاب؟".

دوّامة من الصمت غيّبته تفكيرًا في متاهاتها، ولم يَعِ شيئًا من إجابتها: قالوا:

- "هناك كاميرات مُراقبة داخل عينيْ التمثال".

اعتذر من زبائن المقهى، وغادر قبل انتهاء موعده عند ختام المشهد كما هو معتاد في كلّ سهرة.

تأفّفٌ. ضجرٌ. قرقرة النراجيل سيطرت، ودُخَّانها لم يتوقّف صدوره من أفواههم.

***

ذات النظّارة

اتصال من مُتكلّمٍ مجهولٍ، تظهر عبارة (رقم خاص) على شاشة الهاتف النقّال.

صوت غير مألوف، اقتحم عالمه بفظاظة مررتُ بها سابقًا:

- جهِّزْ نفسك.

انقطع الاتصال قبل استفساره، لم تُتح له فرصة تحريك لسانه داخل فمه.

تُركّز نظراتُها على شفتيه عندما خرج طرف لسانه بحركة لا إراديّة، غير بريئة لترطيب جفافهما -حسب رأيها-.

لم ينتبه لها إلّا قُبيل انحرافها إلى الجهة المُغايرة له، النظّارة السَّوداء غطّت معظم ملامح وجهها. عجزت ذاكرته عن معرفة أيّة معلومة منسيّة، أو موقف ربّما جمعه بها، ولا حتّى مكان ولا زمان.

نظراتٌ بلهاءٌ طفَحت على ملامحه، بينما راح يمسح وجهه، كأنّه أحسّ بِثِقَل نظراتها على شفتيْه. مطّهُما للأمام. سمعتْ أُذُناه صوت إطباقهما بقوّة قُبلَة عميقة.

عيناه ما زالتا تقتفيان أثرها بين زحام النّاس في سوق الخُضار. بالكاد سمع رنين الهاتف. فستانها الأحمر.. وطلاء الشّفاه.. وتورّدُ الخدّيْن. نيرانٌ تبعثُ بوهج حرارتها، لتصطدم بصوتٍ ناعمٍ رقيقٍ.

- "اللّعنة.. أيضًا.. رقم خاصّ" .

- "أل.. للّو - بغنج غير طبيعي- حضرتُك الروائي الذي حصل على الجائزة؟".

- "نعم.. أنا هو".

- "خلّيك معي لحظة، لو سمحت، سعادته مشغول بمكالمة".

- "مؤكّدٌ أنّي معكِ" .

إشعار تطبيق الواتساب اقتحم الشاشة عُنوةً غير آبِهٍ بالموقف الذي ينتظره.

- " آه.. لو علم سعادته بأمر الصديقة، لا أشكُّ بإجباري على تسليم رقمها له".

بحركة لا إراديّة ضغَطَ على كَشِيدَةِ الإشعار السّوداء. ضاع صوت السكرتيرة، وتوقّفت حركة الهاتف، كأنّ عُطلاً مفاجئًا حلّ به.

- "ياللحظّ السيّئ الذي يلازمني عند الضرورة. إنّه يوم نَحْس النُّعمان بن المنذر".

لم يتمالك نفسه مع اجتياح نوبة الغضب المكبوت له، بالشتم والسبّ والتحسُّر. تراخت أعصاب يده؛ فسقط الهاتف من يده، تصادفَ مرور سيّارة بجواره؛ فتحطّم.

ضاع في الزَّحمة، وهو يَحُثُّ خطاه المُتعبَة في أثر ذات النظّارة السّوداء، وضجيج السُّوق تآلَفَ مع أصوات الباعة بتشييع أثره، رغم كلِّ ذلك لم يسمع إلَّا نداء خفيًّا.

مُتتاليات

نداءات البائع في طَرَف السُّوق الفارغ من الزبائن.. ذكَّرني بصُراخ الجلاَّد بعد العفو العامِّ. بينما السُّجناء كانوا يتلَّقُون التَّهاني بالإفراج عنهم. كادَ يُجَنُّ. قيل: أنّه صمَّم على الانتحار لولا أنّهم تداركوه بالمنع.

ولم أجد مُبرِّرًا لنوبة القلق عندما داهمتني في الحال، صورة المُبلّغ في قاعة المحكمة المُنعقدة للنُّطْق بالحكم على المُتَّهَم، الذي نُفِّذَ به الحُكم بعد أن لقَّنه المفتي الشَّهادتَيْن قبل ذلك. للآن لم أُدرك السَّبَبَ الحقيقيِّ الكامن خلف النَّبرة العالية

الغاضبة للرَّئيس السَّادات أثناء خطابه في مجلس الشَّعب، والأعضاء مُنْصِتُون. يُحملقون في وجهه الأسمر يتأمّلون تقاطيع جبهته بخطوطها المُستقيمة كخطِّ "**بارليف**"، ويُصَفِّقون.

زعيق أبواق السيّارات المُتَوقِّفَة بانتظار الإشارة للسَّماح لمركباتهم بعُبور التقاطع؛ عندما أضاءت بلونها الأخضر، نفاذ صبرهم من مراقبة لونها الأحمر؛ هيَّج الزعيق بوتيرةٍ مُزعجةٍ؛ ليقطع سلسلة أفكاري المُتتالية خلال انتظاري معهم. أقلعتُ من مكاني، وصرير دواليب سيَّارتي يتجاوب مع ضِيق سائِقِي السَّيَّارات المُحتجِّين.

بينما سمعتُ صُراخ سائق فاضَ صبره غضبًا:

- "العمى فيك..!! شو نايم؟".

وآخر: "شوف الحمار يتبختر على مهله". ثالث: "يلعن أبو إلّلي أعطاكِ رخصة السواقة..!!".

جاءني من بعيد صُراخ أمِّي ذات مرة عندما كانت نائمة، ودُموعها تقطر من عينيها المُغمضتَيْن. ولمَّا سألتُها:

- "لماذا كنت تَصرُخين يا أمِّي أثناء نومك؟".

قالت:

- "كنتَ على وشَكِ السُّقوط في الحفرة أمام البيت".

حينها كنتُ صغيرًا، لكنِّي ما زلتُ أحفظ حديث أبي حينما أخبرني:

- "قمتُ مفزوعًا من نومي على صُراخِها، رُحتُ أهدِّئها. وناولتها كأس ماء كانت بجانب رأسي".

رائحة عطر نفاذة اقتحمت أنفي بقوَّة انطلقتْ من تاكسي حديثة تجاوزتني، تقودها شابَّة تضع نظارة سوداء تُخفي عينيْها، وخصلات شعرها الشَّقراء تتطاير عبر النافذة، لم أنتبه إلى رِجْلي الضَّاغطة بكامل قُوَّتها على دعسة البِنْزين، إلَّا عندما أوشكتْ مُقدِّمةُ سيَّارتي الاصطدام بمُؤَخِّرة شاحنة كبيرة. صوت أمي أيقظني في اللَّحظة الأخيرة.

رسالة مُنتظرة

في رسالة إلى أبي في الأصل لم تُكتَب قطعًا، ولم يُخالطني شكٌّ أبدًا بأنَّني كتبتُها له، لم يُخبرني كذلك بعِتابه أنّه كان ينتظرها بفارغ الصَّبر، ليطمئنَّ عنِّي، ولم يؤنِّبني على رداءة الخطِّ؛ عندما عانى من صُعوبة قراءة بعض الكلمات، بل إنَّ أكثرها أعطت معانٍ أخرى معاكسة لمقاصدها الحقيقيَّة.

من أينَ تسرَّبت هذه المخاوفُ جميعها إلى نفسي، إضافة للرَّواسب القديمة، التي لا فَكاكَ منها على الإطلاق، ولم أستطع التخلُّص منها على الرَّغم من مُحاولاتي الجادَّة التي

بذلتُها. لمَّا عجزتُ، بعد تردُّد لمرّات عدَّة كان الخيار الأصعب هو اللُّجوء للطّبيب النّفسيِّ.

تبيَّن لي من أوَّل جلسة معه. كنتُ أتوقَّع بعد ساعتيْن من حديثنا المُمتِع والشيِّق.. حديث الصَّراحة الذي ولَّد حالة من الثِّقة المُتبادلة بيننا.

لم يتوانَ الطّبيب لحظتها من بثِّ شكواه لي، المفاجأة غير المُتوقَّعة أنّه كان تائهًا في بيداء صحارى قاحلة، وبحاجة لمن يستمع له، بحثًا عن حلٍّ، بعدما نهشت الشُّكوكُ قلبه من سُلوكِ زوجته خلال السَّنوات السَّابقة.

لكنَّه أخبرني:

-لم أستطع إثباتَ أيَّ شيء عليها، وفي كلِّ مرَّة تخيب ظنوني.

وعلى العكس من ذلك، وعلى حدِّ زعمه أنَّها كثيرًا ما أعربت له علنًا عن مشاعرها تجاهه، بوضوح ولا مُواربة:

- "أنتَ حُبِّي الأوَّل والأخير.. حبُّ البداية والنهاية".

ممَّا جعلني أتشكَّك بسلوكه، توقَّف تفكيري وشُلَّ تمامًا. اختلاط الأمور لهذه الدّرجة من الانعكاسات بتشابكاتٍ مُحيَّرة، يصعبُ التمييز بين المواقف انعكس ذلك على سوء تقييمي للموضوع.

تمعَّنتُ عميقًا في ملامحه العتيقة الباعثة على الإحباط، كدتُ أصرخ بوجهه:

-العمى بقلبك.. العمى.

لا أظنُّ أنَّني فعلتُها، ولم أفتح فمي بكلمة واحدة، بل أرسلتُ نظراتي وراء غموض غير مفهوم، وجهه كأنَّه باب حجريٌّ من بقايا الرُّومان موصدٌ بإحكامٍ، وضاع مفتاحه، وعصيٌّ على الاستجابة لمعالجة الخبراء بالطريقة المُثلى لإعادة فتحه، أو إحداث شقٍّ بسيط، ولا أن تنفُذ منه كفٌّ اليد.

ما شعرتُ إلَّا وأنا أصعدُ درج العمارة إلى البيت، وبصوت طقطقة حذاء جارتنا ذات الكعب العالي تسبقها بالوصول إلى سمعي، لتُداري قِصَر قامتها الملحوظ، تتطاول للأعلى برفع رأسها بشموخ مُتعمَّد، ولا تستطيع رؤية الأرض التي تمشي عليها، ضربات "بُمْ.. بُمْ..طق..طق" أخرجتني من دوَّامة العقدة الجديدة التي سبَّبها لي الطبيب.

تهيَّأتُ بعد استنفار انتباهي؛ لمراجعة وضع هِندامي، رفعتُ خِصْر البِنطال المُهلهل، امتدَّت يدي اليُمنى للتمليس على شعري، مع وصولنا وجهًا لوجه، تفصلنا درجتين هي من الأعلى، رأيتُ رأسها ينطح بوَّابة السَّماء بوضاءة وجهها، اقتحمتني بابتسامتها أذابت آخر خيبات مشواري الذي كان. تلعثم لساني بالردِّ على قولها، ولم أتشجَّع لمعاودة محاولة الردِّ ثانية:

-يسعد هالمسا.. شكلك مو عاجبني يا جارنا، على غير عادتكَ.

مع أوَّل رشفة من فنجان قهوة المساء على الشُّرفة ذات الإطلالة على ساحة واسعة، بعد وصولي للبيت، تواردت الأفكار اِنثيالًا كسحابة صيف عابرة، لم تترك موضع شِبْر في

الحديقة المقابلة للسّاحة التي تُطلُّ عليه عمارتنا السكنيَّة، ذات الطَّوابق الأربعة. انفصالٌ تامٌّ عن كلام زوجتي الكثير، أجزمُ يقينًا أنَّني لم أسمع كلمة واحدة ممّا قالت. أخيرًا هززتُ رأسي علامة الإيجاب بالموافقة على ما قالت، وقلت:

-تمامًا كما قلتِ، ومعكِ كلَّ الحق.

حديث لم يكتمل

عَيْنايَ لم تَبْرحَا قَسَمات وجهه المُشرق اِبتهاجًا، بينما عَيْناه مُركَّزتان في ملامحي، لم يتأكَّد من ضَجَري، اِنْهماكُه بِاسْتخراج مشاعره ونثرها أمامي، وعدم إفساحه لي المجال لمشاركته حديثًا طالما اِشْتقتُ للإدلاء برأيي فيه. اِسْتغرقني حديثه حول العبثيَّة وتطبيقاتها الأدبيَّة.

بعد أن أخبرني عن مُكالمة النَّاقد الهاتفيَّة معه، وعلى مدار ساعةٍ كاملةٍ. قال:

- "إنَّه اِسْتأذنني بمحادثة طويلة، بعد أن اِسْتأنسَ رصيد هاتفي الذي يسمحُ بإجراء المكالمة دون اِنْقطاع".

لم تتأثَّر جلستنا بأغنية طويلة لـ "**أم كلثوم**" كأنَّها نهبَتْ عُمْرًا منَّا، ولا بضجيج المارَّة العابرين من أمامنا، غير عابئين بنا، ولا بأيِّ شيءٍ نتكلَّم به أو عَنْه. لا شكَّ بأنَّ مُعظمهم في عوالم بعيدة عن واقعنا، وإذا اِنْتبه أحدُهم لنا بِقَرفٍ ولامُبالاة لعلَّه يقول، في أحسن تقييم لنا:

- "كلام عواجيز" .

ضجيج مُحرِّك سيَّارة النَّقل الصَّغيرة الصَّاعدة مع تصاعُد الشَّارع القاسي، مُثقَلَةً بحَمْلِها كَوْمَة جَزَرٍ مع خُضارٍ أخرى تعلُو فوق شَبَكِها الحديديِّ الأبيض، لوَّحتْ نظري بتعدُّد ألوانها. صراحةً لم أعرف، لماذا سيْطر على ذهني اللَّوْن البُرتقاليُّ، رغم فارق الشَّكل والطّعم بيْن فاكِهتيْ الجَزَر والبُرتقال. والسيَّارة تسيرُ ببطء مُخلِّفة وراءها خطًّا من الدُّخان

الأسود من فُتحة عادمها. اِقْتحمتنا رائحة الدِّيزل بِفَجاجَة. صديقي الكاتب مُستنكِرًا:

- "ما هذا العَبَث البيئيِّ المُحرَّم دُوليًّا؟".

على الجانب الآخر من الشَّارع مرَّت شاحنة عابرة مُخصَّصة لحمل السيَّارات المُتعطِّلة في ظروف الأحوال الجويَّة المُثقلَة بالبرد والمطر، وهَبُوب الهواء البارد يلفحُ الوجوه، ويتلاعب بأشجار جزيرة وَسَط الشَّارع؛ يُخلخلها، كأنَّما لا يُطيقُ وجودها واقفة في وجهه.

شخصٌ يركب داخل كابينة السيَّارة الحمراء المحمولة، يضعُ سمَّاعات هاتفه النقَّال في أذنيْه، نظر نحوي بينما اِنْطلقت ضحكته. ظننتُ أنّه مُصابٌ بعدوى عبثيّة صديقي المُستغرق بحديثه المُستمرِّ.

بشكل مُفاجئ دخلت من أمامنا سيَّارة الدّفاع المدنيْ؛ فقطعتْ مشهد السيَّارة المحمولة، اِخْتلطتِ الأمور حدَّ التشابُك في ذهني، تخيّلتُ ذاك المُخرِج السِّينمائيّ عندما يُصدِر أوامره الصَّارمة، بتشغيل صافرة إنذار الخطر في سيّارة الإسعاف، ومؤكِّدًا للمرَّة الثَّالثة على السَّائق بتشغيل الأضواء الزرقاء والحمراء بآنٍ واحدٍ مع صَوْت الإنذار؛ لإعطاء مِصْداقيَّة للمشهد بمقاربة الحقيقة، ولكي لا يغفل سائقو السيَّارات العامّة والخاصّة عن اِلْتزام اليمين، ولإفساح المجال بأن يصل المريض إلى المشفى بالسُّرعة القُصوى، ربَّما يستطيعون إنقاذه، وتُكتَب له حياة جديدة.

ما زلتُ أسمعُ حديث صديقي بنفس الموضوع، لكنَّه تحوَّل إلى عنوانٍ مُهمٍّ:

- "جماليَّة العبثيَّة في الكتابة الأدبيَّة".

هدوء مُفاجئ على غير العادة؛ توقَّف عُبور السيَّارات للحظات؛ أشار صديقي:

- "الإشارةُ الضَوْئِيَّة حمراء الآن".

ساعة متأخرة

دائمُ التأخُّر منذ أنْ تجاوزت أمُّه عند وِلَادتها به وقتها الذي حدَّدته الطَّبيبة النِّسائيَّة؛ وِفْق الذَّكاء الصِّناعيِّ للأجهزة المُتقدِّمة تَقنيًّا.

لِسُوء الحظِّ لم يلحظ تقصير ساعة الحائط، وتراجعها ساعة بسبب ضعف بطَّاريَّتها. وصَلَ كالعادة مُتأخِّرًا ساعتيْن كاملتيْن عن مَوْعد عَقْد قِرَانه على الزَّوْجة الثانية بعد الأولى.

لم يَأْبَه للاِحْتجاجات التي جابهوه بها، بكلِّ هُدوء، حاول الاِعْتذار، وشرح أسباب التأخُّر غير المقصود، وإلقاء اللَّوْم على السَّاعة اللَّعينة التي أخَلَّت بالتوقيت.

تأجَّلت حفلةُ العَقْد؛ لأخذ مَوْعدٍ جديدٍ من المأذون الشَّرعيِّ، الذي غادر لِارْتباطه بمواعيد دقيقة، وكَتَب على غلاف الإضبارة الخارجيِّ بالقلم الأحمر:

- "تُؤجَّل إلى الشَّهر القادم في مثل هذا اليوم، ويتحمَّل العريس كافَّة الرُّسوم، والغرامات، والنَّفَقات الإضافيَّة؛ لعدم حُضوره في الوقت المُناسب".

وفي اليوم الثَّاني وَصَلَ الجامع لأداء صلاة الجُمُعة؛ فُوجئ بالأبواب المُغلقة. حينَها ظنَّ أنَّه جاء مُبكِّرًا؛ رَفَع يديْه وعَيْنيْه إلى السَّماء، وقال بصوت مسموع:

- "الحمد لله أنَّني وصلتُ قبل الموعد، وسأكونُ أوَّل القادمين. مؤكَّدٌ. هذه المرَّة سأنالُ الجائزة الأعظم عند الله".

قيل له من أحدهم:

- "الصلاةُ اِنْتهت منذ ساعتَيْن".

عاد يُجرجر أذيال الخيْبة. لسانُه لم يتوقَّف عن شَتْم ساعَتِه تِلْك، وقرَّر تحطيمها إذا وصل البيت.

قادته رَغبتُه بتَسوُّق بعضًا من الموادِّ للغَدَاء، لكنَّه لم يشتر إلَّا عُبوة كُرتونيَّة شفَّافة الوجه، بحجم عُلبة الكِبْريت؛ تحتوي على بطاريَّتين صَغيرتيْن بحجم الإصبع فقط.

رنينُ الهاتف النقَّال أجبره على النُّزول عن الكُرسيِّ، وبيده السَّاعة. جاءه صوت أخ خطيبته، وهو وَلِيُّ أمرها بعد وفاة والدهما، والمسؤول عنها:

- "يا أحمد.. لقد اِتَّخذنا قرارنا الأخير، الذي لا رَجعةَ عنهُ تحت ضغط أيِّ ظرفٍ كان، وبإجماع العائلة، فَسْخَ خُطوبَتِكَ، واِعْتبرْ أنَّ نصيبكَ اِنْقطعَ من عندنا".

اِنْقطاعُ المُكالمة الفوريِّ، لم يترك له مجالًا للردِّ أبدًا. السَّاعة وقعت من يَدِه، وتناثرت أجزاؤُها على كامل بلاط الصَّالة. بينما قَذَف زَوْج البطاريَّات نحو النَّافذة المُطلَّة على حديقة البَيْت الخارجيَّة بِغَضَبٍ، دخلت موجة هواءٍ باردةٍ؛ أوقفت تعرُّقه المُفاجئ، ورطَّبت الموقف.

تذكَّر هذا الزَّمن المديد المُتخَم بالخَيْبات والمآسي، وهو يُعايِن اِنْعكاسَ وَجْهَهْ على عَدَسَةِ نظَّارتها الشمسيَّة السَّوداء، وهما يحتسيان قهوة المساء على الشَّاطئ، بينما تمتدُّ يَدُها مُتجاوِزَةً

نِصْف الطَّاولة من جانبها إلى جانبه؛ فأمْسكَتْ بيده قبل إمْساكِهِ فُنجان قَهْوَتِه. وقالتْ:

-"حبيبي.. رغم تأخُّرِكَ عُمريْن، يبقى أنَّكَ جئتَ في موعدكَ".

اِسْتغراقه بتأمُّل ملامح وَجْهِهِ الذي يَراه للمرَّة الأولى في حياته بهذا الإشراق؛ أوْغَل بذهابه بعيدًا عن المكان إلى عوالم، بل نسي نفسه، مُؤكَّد أنَّهُ لم يسمع ما قالت حبيبته. ولم تستطع بل عجزت مَرايا الشَّالِيْه، وغُرفة نومه إيضاح ذلك له.

ضغط بيده الأُخرى على يدها بقوَّة؛ سَالَتْ حرارة التعرُّق بينهما كَدُموع الفرح. غادرا المكان بهدوء.

لحظةٌ ذهبيَّةٌ

حالة من النَّشوة والحُبور تغَشَّتهُ، على وَقْع خبر فوزه بمنحة (**المشروع القوميّ للإبداع**)، وسيتفرَّغ لعمله الأدبيِّ الأهمِّ في حياته على الإطلاق، أحلام النّجاح والشُّهرة على مُستوى القُطر، والحُظوة عند مديره المُباشر، وستنتفخُ إضبارته الذاتيَّة بشهادات الشُّكر والثناء، لِتَطمُر تنبيهات لَفْت النَّظر، والإنذارات القديمة، وسينال رضاه بلا جِدالٍ، عندما راجع نفسه في المساء أثناء استعداده للنَّوم، الذي غادرهُ كامل ساعات ليلته حتَّى الصَّباح. قراره الأخير:

- "مديري عقليَّته جامدة غير قابلة للتطوُّر. عصبيُّ المِزاج. حادٌّ وحَرْفيٌّ بتعامله معنا. يلقي أوامره على الموظفين شبيهة بالعسكريَّة. وعلينا جميعًا التنفيذ فقط. من الآن فصاعدًا لن أكترثَ له. مادام الوزيرُ قد وقَّع لي القرار. هذا يعني أنَّه عرف باسمي، وآمن بموهبتي لمَّا قرأ اِقْتراح التنسيب، وإذا قصدته؛ فلن يرفض لي طلبًا".

اِجْتماعٌ ضخمٌ عُقدَ في المَرْبَع السَّاحليِّ لجميع الذين قُبلوا لإنجاز المشروع على مدى العامَيْن القادمَيْن. مساء، وبعد انتهاء الجلسة الأولى بساعات. قرَّر ثانية الاِنْفراد بنفسه بمكان مُتوارٍ بجوار البحر. لسانه لم يملَّ من إعادة الأُغنية، وكأنَّها علقت بلاصق بجزء حَيَويٍّ من فمه:

"لَكْتُبْ اسمك يا بلادي.. ع الشّمس إلّي ما بِتْغيبْ"

أخيرًا. وقف على الشَّاطئ عند حافَّة جُرْفٍ عميقٍ. رَجْعُ صدى صوته يُصدِّعُ السُّكون، إلَّا من أصوات الأمواج المُتكسِّرة على الصُّخور في الأسفل.

بإصرارٍ. يده تُلاحق قُرص الشَّمس الذي يتباعد عنه بعنادٍ.

هَوَى. اِهتزَّت قدماه، ولم يُفلِح باستعادة توازنه. مازال لسانُه يُعاند صوت البحر بترداد الأغنية، ويُصِرُّ على كتابتها على طين قاع البحر بخطِّ الرُّقعة. بينما يتراءى له وجه المُدير بملامحه الصَّارمة، بنفسه لو كان يستطيعُ عِناقه، بينما اِنْتشرَ رَذاذُ تَفَّةٍ من فَمِهِ.

العملُ الروائيُّ الذي اِنْتهى منه قبل عام قرَّرت دار النَّشر طباعته. المُدقِّقُ اللَّغويُّ دائِبُ النَّشاط بِهمَّةٍ واِقْتدار، آمِلاً الِانْتهاء من رواية "**خَلوةٌ في مِحْبَرة**" قبل نهاية فصل الخريف.

توقَّف طويلاً في رحاب العنوان مُنشغل الذِّهن، وبِانْتقاله إلى الصَّفحات التالية. تساءل مع نفسه:

- "كيف كتبها الروائيُّ..! "**خَلوةٌ في مَقْبرة**"؟، لا شكَّ بأنَّه كان يهذي سابحًا في ظلام الغُرفة. أستغربُ اِنْحرافَ السِّياق عن الخطِّ العامِّ للمقطع السَّابق واللاَّحق. سأُثبِّتها "**خَلوةٌ في مِحبَرة**".

رنينُ الهاتفِ جاءهُ بخبرٍ من صاحب دار النَّشر:

- "تأكَّدَ خبرُ موتِ الكاتب. قالوا: إنَّه اِنْتَحر".

دمعتان حارَّتان سَقَطتا من عيْنيِّ المُدقِّق، وتلتهما أُخريان مُماثلتان؛ فأصبحت الصَّفحة باهتةً جدًّا، لم يبقَ إلَّا أثرٌ من سَوَادِ

الحِبْر، بلا مَعَالم واضحة، كَقَبْرٍ دَارِسٍ. وليُخرج الكاتب من مأزقِهِ بِحْكمةٍ معقولةٍ.

من فَوْره أزاح السَّتائر بِنَزَقٍ، وسمَحَ للهواء والضُّوء بِاسْتباحة المكان؛ فاستطاعَ اِسْتعراض شريط حياة الروائيِّ خلال دقيقة، وملأ رِئَتيْه بالأوكسجين، وطَرَدَ ثاني أوكسيد الكَرَبُون من صَدْره بفَرحٍ، وثبَّت اِسْمه على الرِّواية بالخطِّ العريض.

المؤلف في سطور

الفهرس

الموضـــــــــــــوع رقم الصفحة

المقدمة 5

البصّارة 7
لحظة عامرة 13
انتظــار 17
سلطان النّوم 20
ما الحبّ إلّا.. 23
تبادلات 27
حذر هادئ 30
ضجيج 33
الحكواتي 37
ذات النظّارة 43
مُتتاليات 48
رسالة مُنتظرة 52
حديث لم يكتمل 58
ساعة متأخرة 63
لحظةٌ ذهبيَّةٌ 68
المؤلف في سطور 73
الفهرس 74